نحو دولة عربية واحدة

بقلم الدكتور حسن صعب

اظهرت ثلاث حروب خاضتها الدول العربية مع اسرائيل ما بين عامي ١٩٤٨ و ١٩٦٧ ، اي في اقل من ربع قرن ، بأن استراتيجية النصر الاسرائيلية تقوم على التفرد بكل دولة عربية على حدة ، سواء اكان ذلك في الميدان العسكري اثناء القتال ، او في الميدان الدبلوماسي بعد وقف القتال .

ولعل الملاحظ لسير القتال اثناء عام ١٩٤٨ يذكر ان الفترة الاولى منه ، التي هاجمت فيها الدول العربية متضامنة ولو بعض التضامن ، كانت فترة تراجع للقوات الاسرائيلية . وان تقدم هذه القوات جاء في الفترة الثانية ، التي استطاعت فيها اسرائيل ان تهاجم فيها جبهة عربية بعد الاخرى .

وتكرر الامر عام ١٩٥٦ حين انصب العدوان الثلاثي على مصر وحدها ، على امل قلب نظام الحكم فيها ،وعزلها عزلا نهائيا عن الدول العربية . وظهرت خطة الاستفراد في الحرب الاخيره في الضربة الحاسمة ، التي وجهت اولا لطيران الجمهوريه العربية المتحدة ، وفي حشد اكبر قوه من الجيش الاسرائيلي في غزة وسيناء للقضاء اولا على الجيش المصري قضاء تاما ، والانصباب بعد ذلك على الجبهة الاردنية ، فالجبهة السورية ، سعيا وراء التفرد بكل جيش عربي على حدة وابادة جميع قواته بلا شفقة ولا رحمة .

وقد حققت استراتيجية الاستفراد هذه النتائج المنشودة منها ، وحان للعرب بعد ان حملت لهم ثلاث هزائم في فترة اقل من حياة جيل واحد ان يستخلصوا منها **سلوكيا وعمليا** لا **مبدئيا ونظريا** او **عاطفيا** العبر الواجبة . ولعل هذه العبر تصبح اكثر وضوحا اذا ما بينا ان هذا الاستفراد الاسرائيلي للدول العربية هو جزء لا يتجزأ من سياسة اسرائيلية مخططة في سبيل الانتصار على العرب والسيطرة عليهم . ويمكننا الاستشهاد على هذه السياسة بجميع افعال اسرائيل واقوال زعمائها وبمراجع كثيرة نكتفي بأن نذكر منها هنا الكتيب الذي نشر فيه الكاتب الهندي كارانجيا الخطة الاستراتيجية للجيش الاسرائيلي لعام ١٩٥٦ – ١٩٥٧ ، والذي يعرف تحت عنوان : « خنجر اسرائيل » . وقد جاء في ص ٤٦ من هذا الكتيب ما يلي :

« لا تستطيع الدول العربية ان تجابه اسرائيل بمقاومة كبرى ، الا اذا كانت متحدة ، وطالما ليس ثمة قطر عربي اقوى من اسرائيل وحده ، وبالتالي طالما لا يستطيع اي قطر عربي ان يشن بمفرده حربا على اسرائيل ، **فان الوحدة العربيه في الحرب هي جوهرية..**

ولهذا يرتدي اعظم الاهمية بالنسبة لنجاح عملياتنا الحربية ذلك العمل السياسي التمهيدي الذي يجب ان نقوم به في الدول العربية بمساعدة الدول الغربية . **ان هذا العمل السياسي التمهيدي الذي يجب ان نقوم به في الاقطار العربيه يرمي الى زرع بذور الشقاق بين الدول العربية وتقويه القوى المعاديه لمصر في الاقطار العربية »** .

ان الوحدة العربية جوهرية في وقت الحرب ، ولكنها لا تقوم اثناء الحرب الا اذا كانت موجودة في وقت السلم ، ولذلك فان العرب لن يستطيعوا الانتصار على اسرائيل ، الا اذا تحققت الوحده العربية في زمني السلم والحرب ، **اي ان الاختيار الحقيقي الذي يواجهه العرب الان هو اما الدولة العربية الواحدة واما اسرائيل.**

ونحن هنا امام مفهوم جديد للوحدة العربية من حيث غاية هذه الوحدة فنحن منذ بداية القرن التاسع عشر نتحدث عن الوحدة العربية كوسيلة لمقاومة التعسف العثماني او لتحقيق نهضة عربية او لبعث المجد العربي الغابر او لمجابهة الاستعمار الغربي ، ولكننا نحتاجها اليوم كضرورة استراتيجية للانتصار على اسرائيل ، اي للبقاء كأمة ذات حق في الحياة ، او الزوال تجاه خطر الابادة من قبل اسرائيل والاستعمار الذي يظاهرها .

ونحن ايضا تجاه مفهوم جديد للوحدة العربية من حيث شكل هذه الوحدة . فالتضامن العربي داخل الجامعة العربية ، والضمان الجماعي العربي ، والتعاون الاقتصادي والثقافي والتآزر في الدعاية الخارجية ، كل هذه اشكال للوحدة افلست في ثلاث حروب خضناها مع اسرائيل ، لانها لم تكن اكثر من تغطية خادعة لحقيقة التجزئة الغالبة علينا . وكل العواطف التي اطلقناها ، والمواقف المشتركة التي اتخذناها في الاسابيع الثلاثة التي سبقت الحرب

وفي اسبوع الحرب لا تعوض عن التجزئة الفعلية التي ما نزال نعيشها منذ عام ١٩٤٨ ، والتي ما تزال سلاح اسرائيل الرئيسي لبلوغ اهدافها الدبلوماسية بعد ان حققت انتصاراتها العسكرية . ويكفي ان نذكر هنا ان رئيس حكومة اسرائيل يرسل التصريح تلو الاخر ، بانه يعرف الدولة العربية الثانية والثالثة التي ستعقد الصلح مع اسرائيل ، ولكنه ما يزال يفتش عن الدولة الاولى ، اي تلك التي ستفتح طريق تصالح الدول العربية مع اسرائيل واحدة بعد الاخرى . انه الامل بنجاح الاستفراد الدبلوماسي بعد ان نجح الاستفراد العسكري .

ويعني هذا ان علينا ان نتجاوز الوحدة التضامنية الخادعة الى الوحدة التلاحمية الواثقة ، التي ينبثق منها وجود عربي جديد ، وتشرق منها دولة عربية واحدة ذات دستور واحد ، ومواطنية واحدة ، وسياسة خارجية واحدة ، وتمثيل دبلوماسي واحد ، وجيش عربي واحد ، وخطة دفاعية واحدة ، واقتصاد عربي واحد ، وخطة عربية اقتصادية تصنيعية واحدة ، فيكون لها بذلك خطة استراتيجية واحدة تجاه اسرائيل ، تطبق في السلم والحرب .

ان هذه الدولة العربية الموحدة دستوريا وخارجيا ودفاعيا واقتصاديا هي وحدها التي تستطيع ان تحول استراتيجية الهزيمة التي فرضتها علينا التجزئة في ثلاث حروب الى استراتيجية النصر . وهي وحدها التي تستطيع ان تقلب استراتيجية انتصار الاسرائيلية الى استراتيجية اندحار . بل انها بما ستمثل من وجود عربي جديد في الميدانين الاقليمي والدولي قد تجعل الحرب بيننا وبين اسرائيل غير ذات موضوع ، لانها تكفل لنا بلوغ اهدافنا التحررية في فلسطين بدون قتال .

ونحن ندرك تمام الادراك الصعوبات التي تقوم الان في وجه هذه الوحدة ، ونقدر حق التقدير انها لا يمكن ان تشمل ولا يجوز لها ان تشمل جميع دول الجامعة ، لما بين هذه الدول من اختلافات في الانظمة والمستويات ، ولما بينها من منافسات زعامية . **ولكننا ندرك ان بامكان ان تنطلق على الفور من اربع دول عربية هي مصر والاردن وسوريا والعراق** . وهي الدول التي تحملت وستظل تتحمل العبء الاكبر في حروبنا مع اسرائيل . ولن تستطيع هذه الدول ان تتحمل هذا العبء تحملا **انتصاريا** الا اذا اصبحت دولة واحدة . واذا لم تحقق هذه الدول الوحدة فورا ، فانها تسير وتقود معها سائر الدول العربية ، لا في طريق الانتصار بل في طريق الانحدار .

ويتطلب هذا الامر من القيادات السياسية والعسكرية والاقتصادية في هذه الدول الاربع ان تستبدل موقف التربص الذي اتخذته تجاه بعضها البعض بموقف الثقة . ولعل ما حل بنا في هذه النكسة الاخيرة كاف لاقناعنا بأن اسرائيل تجاوزت الان مرحلة اغتصاب فلسطين الى مرحلة السيطرة على المقدرات السياسية والاقتصادية والدفاعية للمشرق العربي ، ومرحلة اعادة تنظيم خريطة الشرق الاوسط كما تحب وتهوى . ويعني هذا انه اذا لم تنشأ الدولة العربية الواحدة ، فلن تكون هناك قيادات عربية في المشرق العربي ، بل ستكون هناك قيادة اسرائيلية تظاهرها الصهيونية الدولية ، وتؤيدها القوى الاستعمارية ، وتكون هناك زعامات عربية تأتمر بأمرها .

ويتطلب هذا ايضا من دول الجامعة التي لا تريد الوحدة ان لا تعوق عمل دول الجامعة التي تريدها وتستطيع تحقيقها . ولا يضير العمل العربي ان يجري على مستويين ، مستوى التضامن بين الدول التي لا تقبل الوحدة ، ومستوى الوحدة بين الدول التي تستطيع ان تتجاوز التضامن الى ما هو اقوى واوثق واعمق منه . ولا بد هنا ايضا من درجة اوفى من الثقة بين قادة جميع الدول العربية ، لتعتبر الوحدة لخير الجميع ، لا كخير للبعض وكشر للبعض الاخر .

لقد كان علي ان اكتب لهذا العدد مقالة عن « نهج دبلوماسي عربي جديد » . واعتقد انني لبيت الطلب . لان النهج الدبلوماسي الجديد متوقف على نهج وجودي جديد . فالنهج الدبلوماسي هو اداة للنهج الوجودي ، ولا يمكن ان يتغير الاول الا اذا تغير الثاني . ولذلك فضلت تناول الاساس على تناول الفرع . فالتبادر فورا لتغيير الاساس ، ليأتي التغيير الفرعي في الحقل الدبلوماسي وغيره نتيجة حتمية للتغيير الاساسي .

حسن صعب

اطلب منشورات
دار الاداب
في الاردن
من
المكتب التجاري
لصاحبه محمد موسى المحتسب
القدس ـ تلفون ٤٤٦٥
عمان ـ شارع الملك حسين ـ مقابل بنك انترا